معركة صبيان

الأستاذ نجاتي صدقي

كانت المواصلات بين أحياء القدس العربية واليهودية منقطعة إنقطاعاً تاماً ... وإذا ما تخطت سيارة من سيارات الطرفين الحدود فمعنى ذلك أنها موفدة بـ « مهمة » لا عودة لها بعد أن يتم لها إنجازها .

إلا أن هناك نوعا من سيارات الشحن اليهودية كان يحق لها أن تخترق أحياء القدس العربية على شكل قوافل أربع مرات في اليوم ، هي سيارات (البوتاس) .

والسيارات هذه تابعة لشركة البوتاس التي تقع معاملها على ضفة الأردن الغربية ، في بلدة (كاليه) اليهودية الصناعية ، وهي تستخرج ملحه البوتاس من رواسب البحر الميت ، ثم تعبئه في أكياس وترسله إلى القدس في سيارات شحن ضخمة ، حيث تتولى وكالة لها تصدير هذه المادة الكيماوية الهامة إلى خارج فلسطين

ففي بدء الحوادث كانت سيارات البوتاس تسير بحماية عدد من البوليس ... ثم جعلت مقدمة كل سيارة مصفحة بالفولاذ لا يظهر منها سوى ثلاث كوات ، إحداها أمام السائق اليهودي ، واثنتان عن يمينه وعن يساره ... ثم صارت مصفحات الجيش ترافق هذه السيارات ... ثم أخذ فريق من الجند بكامل معداته يصحبها في طريقها الممتد من أريحا إلى وادي موسى ، إلى قرية العازرية ، إلى باب الأسباط في القدس فحلة وادي الجوز ، فباب الساهرة ، فالشيخ جراح ، فالأحياء اليهودية .

وكانت هذه السيارات تتعرض في كل سفرة إلى استقبال حار من العرب ، لكنه عديم الجدوى ، لأن الرصاص كان يستكين في الأكياس ، أو يتدحرج على أضلاع المصفحات حاني الرأس منكسر الخاطر ! . .

وذات يوم عقد جماعة من صبيان وادي الجوز وباب الساهرة اجتماعاً سرياً في حديقة المتحف الفلسطيني بالقدس ، وكان موضوعه رسم خطة للاشتباك مع سيارات البوتاس في معركة ! ..

قال حسن ، وهو أجير يقال : إنني أرتأي أن نرش الطريق بالمسامير ! . .

فهزأ منه صحبه قائلين إن عجلات هذه السيارات من المطاط المكوب لا المنفوخ .

فقال سليم ، وهو صبي ميكانيكي : إنني أرتأي أن نسد الطريق بالحجارة ، وحين يخرج القوم من سياراتهم لازالة ما نضعه من عوائق أمطرناهم بوابل من الحجارة ! . .

فاستسخف الأولاد رأيه قائلين سيتولى الجند إزالة الحجارة ويذهب مجهودنا سدى . .

فقال شكري ، وهو تلميذ في الصف الثاني الابتدائي : إنني أرتأي أن نغتنم فرصة مرور السيارات من هذه الناحية ونقفز عليها ونثيرها ضجة تلقي الهلع في قلوب السائقين ، فيضطرب حبل توازنهم ، ويصدم بعضهم بعضاً ! . .

فضحك زملاؤه من اقتراحه هذا قائلين : وماذا يحل بنا في هذا الصدام ونحن ممتطون ظهور هذه السيارات ؟ ! . .

فقال عبد ، وهو أجير فران : إنني أرتأي أن نضع قشاً في طريق السيارات ومتى اقتربت منها أضرمنا فيها النيران ... وسأتولى إحضار القش من الفرن أثناء غياب معلمي ! . .

فقال له المجتمعون : كلامك هذا غير موزون ، أتظن أن هذه السيارات هي أرغفة خبز وأنها ستنتظرك حتى تشعل فيها النيران ؟

ثم ماهي كميات القش التي ستحضرها من الفرن ؟ . .

فقال موسى ، وهو ابن أحد الجنود العرب الذين اشتركوا في الحرب العالمية الثانية : إنني أرتأي يا أولاد أن نقذف السيارات بالزجاجات المحرقة ! . .

فدهش الصبية وقالوا بصوت واحد : وما هي هذه الزجاجات ؟

قال : أنا أصنعها .

قالوا : وكيف تصنعها ؟ . .

قال : أحضر زجاجات (كازوزة) فارغة ، واملأها بنزيناً . ثم أخرق سدادة كل زجاجة وأضع فيها فتيلاً يمتد إلى البنزين ... واشعل الفتيل واقذف الزجاجة على الهدف ، فتتكسر ويلتهب البنزين ! .